(11)

هل أخطأ الإمام البيضاوي في تفسير آية ؟

سأل جمال :

قال البيضاوي في قوله تعالى : (﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم، والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل، وقرىء على التوحيد) [1] .

لاحظوا المعنى ﴿ **بيدي** ﴾ أي خلقته بنفسي دون توسط أب وأم ، والتثنية كانت لِما في خلق آدم من مزيد القدرة واختلاف الفعل . ولاحظوا قوله (وقرىء على التوحيد) ، أي في قراءة أخرى اليد مفردة وليست مثنى .

تأويل راقٍ . هذا الكلام اعترض عليه الوهابية في بعض المنتديات .

---

[1] - الإمام البيضاوي – أنوار التنزيل وأسرار التأويل : 34/5 . دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1418هـ .

وإليكم كلامهم :

" السلام عليكم الأخ جمال :

تقول نقلاً عن البيضاوي : (الثنية كانت لِما في خلق آدم من مزيد القدرة واختلاف الفعل)

هل قدرة الله تزيد في بعض المواضع وتنقص في بعض ؟ وما معنى اختلاف الفعل ؟

وشكراً لك "

قلتُ : " السلام عليكم :

شكرا على استفسارك .

1-الحقيقة أنني لست في موقع أن أبين مقصود الإمام ، إلا أننا نستخدم التعبير في التثنية زيادة في تقدير الأمر .

لاحظ معي قولك لمن عمل لك معروفا(سلمت يداك) ففيها تقدير أكثر من قولك (سلمت يدك) . ومستوى المعروف في الأولى أكبر من الثانية وهذا اختلاف الفعل .

2-أنا ملتزم بتفسير الآية مع عدم التعرض للتمييز بين خلق آدم وخلق ابليس ، أي أن طلب المولى من ابليس أن يسجد لآدم ليس لأن آدم خلق باليدين كما يقول البعض ، إنما هو أمر من الله لا نعلله بسبب وعليه الالتزام ، والكل مخلوق بصفة القدرة لا فرق بين آدم وإبليس . أي ما منعك أن تسجد يا إبليس لما خلقت بقدرتي أو بنفسي ، فالذات قادرة " .

قالوا :

" السلام عليكم : الأخ جمال:

تقول : (إلا أننا نستخدم التعبير في التثنية زيادة في تقدير الأمر) . المسألة ليست في تقدير الأمر . المسألة في القدرة .

أنت قلت في الرد الأول (مزيد القدرة) . فهل قدرة الله تزيد في بعض المواضع وتنقص في بعض ؟ وقلت هنا : (زيادة في تقدير الأمر) .

ونريد منك أن توضح لنا . كيف تكون زيادة تقدير الأمر بالنسبة لله عز وجل .

كنا في مسألة واحدة . فأصبحنا في مسألتين غامضتين ! ! نرجو منك الشرح و الإجابة

عن المسألتين لإزالة الغموض .

وهل يصح أن نقول لمن ليست له يدان : سلمت يداك ؟ هل هذا مقبول عند العرب . أم أنه من باب السخرية ؟

وهل هو يتقبلها منك . أم أنه سيفهمها من باب الاستهزاء والانتقاص ؟

وشكراً لك" .

قلت: " أخي الفاضل :

القدرة واحدة وتعني عندنا : (وحقيقة القدرة :صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه) . يجب أن تثبت للقدرة أنها واحدة، ودليل هذا أنه يلزم على تعددها اجتماع مؤثرين على أثر واحد . ويجب أن تثبت أنها عامة التعلق بالممكنات ودليل هذا أنه لو خرج ممكن عن تعلقها لزم منه العجز، فالقدرة اخي واحدة ، والمختلف هو ما تتعلق به القدرة من الممكنات .

مثال ذلك: تعلق قدرة الله بزلزال مدمر على درجة 7 مختلف عن تعلق قدرته بزلزال على درجة 4 . فالقدرة واحدة ومتعلقاتها تختلف " .

قالوا :

" السلام عليكم : الحمدلله . هذا ما كنا نريده منك . والآن يجب عليك الاعتراف . بخطأ التفسير الذي أتيت به . فخطأ أن تقول (مزيد القدرة)

وجزاك الله خيراً ".

قلت :

" شكرا على ملاحظتك القيمة ، وانتظر مني جواباً إن شاء الله " .

ما رأي الشيخ سعيد ؟

فعلّق فضيلة الشيخ سعيد – حفظه الله – :

قال البيضاوي : (﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ كلام البيضاوي: خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم، والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل، وقرىء على التوحيد)

شرح كلام البيضاوي :

أولاً نقول : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها** ﴾ [النمل : 34] ، وإن المجسمة إذا قرأوا نصاً شوهوه، ودلّ فعلهم هذا على غبائهم وحمقهم، وتفاهتهم في اللغة وفي سائر العلوم .

وخلاصة كلام البيضاوي: أن **ظهور قدرة الله تعالى بالنسبة إلى المخلوقات يتفاوت بحسب المخلوق الذي ينظرون إليه،** ولذلك فإن **أثر القدرة يكون أوضح في بعض المخلوقات من حيث دلالة هذه المخلوقات عليه، وهذا التفاوت إنما هو بحسب الناظر .**

فإذا نظر الأعرابي مثلا إلى الإبل كيف خلقت ، فإن أثر قدرة الله تعالى يكون عنده جليا واضحا لخبرته بالإبل، وخصائصها .

وإذا نظر العالِم في قوله تعالى عن الظل: ﴿ **ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ﴾ [الفرقان : 46] فإنه يكون أوضح في الدلالة على القدرة من نظره في الإبل مثلا وهو لا يعرف عنها شيئًا .

فالزيادة هنا إنما هي بحسب علم الناظر بما ينظر فيه، وبحسب دلالة الفعل المخلوق للناظر فيه، على عموم قدرة الله تعالى .

ولذلك فإن المجسمة لأنهم لا يفهمون دلالة الحدوث على الاحتياج، فإنهم لا يرون في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **لا أحب الآفلين** ﴾ [الأنعام :76] أي دلالة على استحالة اتصاف الله تعالى بالصفات الحادثة وخاصة بالحركة التي هي محل الكلام .

ومثال هذا : ما لو أعطيت حديثاً لعاميّ لا يعرف شيئاً من أصول الفقه، وسألته عن دلالة هذا الحديث على الأحكام الشرعية ، فإنه لا يمكنه أن يدلك إلا على المعاني الواضحة، أما الأصولي العارف والفقيه الذكي فإنه يستنبط من نفس الحديث كثيراً من المعاني .

هذه كانت مقدمة :

والآية إنما كانت لإقامة الحجة على إبليس اللعين، ومحل عناد إبليس إنما كان أنه ادعى أنه خير من آدم عليه السلام، وعلل خيريته عليه بأنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين !!

فأجابه الله تعالى بناء على نفس محل اعتراضه، **وثنى اليدين دلالة على مزيد اعتناء الله تعالى بالخصائص التي أودعها في آدم عليه السلام،** ولا شك أن كل خاصية من الخصائص إنما أودعت في آدم عليه السلام بتعلق قدرة الله تعالى بها ، ف**كانت كثرة الخصائص دلالة على مزيد ظهور قدرة الله تعالى لمن عرف هذه الخصائص، لكثرة آثار قدرته تعالى فيه .**

وكان قول البيضاوي : (مزيد القدرة) بيانا أيضا على إدحاض حجة إبليس بادعائه أنه خير من آدم، لأن آدم فيه مزيد اعتناء بخلق الخصائص فيه أكثر من إبليس. وكان على إبليس أن يتنبه إلى هذا الوجه، ولكنه لعناده وإبائه عن الإذعان كفر .

وهكذا كثير من المجسمة أدخلهم في هذا المذهب الباطل عنادهم وجهلهم، فهم نوع من الأبالسة من هذا الجانب .

وإذا قلنا إن جهات تعلقات القدرة في شيء أكثر منها في شيء غيره، فإن هذا لا شك يدل على مزيد اعتناء به، وهذا هو المقصود من اختلاف الفعل، أي اختلاف خصائص الفعل، **فآدم عليه السلام خصائصه من حيث هو مخلوق أعلى من خصائص إبليس ، واختلاف الفعل في دلالة على التفاوت في الشرف .**

فليس في كلام البيضاوي أي خطأ ولا حاجة إلى تعديله ولا تأويله .

وفهمهم النقصان والزيادة في نفس قدرة الله تعالى، إنما جاءهم من غبائهم وسوء تعقلهم لكلام الإمام ، وأنى لهؤلاء الحمقى أن يستدركوا على إمام نحوه .

وأما قول القائل (المسألة ليست في تقدير الأمر . المسألة في القدرة) فهو دليل على حمقه، ولذلك سأل السؤال التالي: فهل قدرة الله تزيد في بعض المواضع وتنقص في بعض ؟

ثم سأل : ونريد منك أن توضح لنا : كيف تكون زيادة تقدير الأمر بالنسبة لله عز وجل .

وقال: كنا في مسألة واحدة . فأصبحنا في مسألتين غامضتين !! نرجو منك الشرح و الإجابة عن المسألتين لإزالة الغموض.

أقول :

والذي حاله كذلك أحرى بنا أن نرثي لحاله، فوالله لا هو بفاهم ولا يعرف نفسه أنه جاهل، وإنما حق الجاهل السؤال، ودواؤه بالجواب. والمفروض بالسؤال ههنا أن يكون سؤال استفهام لا اعتراض لأن الاعتراض إنما يصدر من الفاهم لما يقال، وهو لا يفهم شيئًا .

ألا يقال في اللغة: قدرتي أعظم من قدرتك ، ويراد بذلك إن تعلقات قدرتي أكثر من تعلقات قدرتك، فالزيادة والنقصان ههنا إنما هي في التعلقات، لا في نفس القدرة .

وعندما يقال إن قدرة الله تعالى عظيمة يراد بهذا مثلا أنها عامة التعلق، مع اختلاف حقيقة قدرته عن حقيقة قدرتنا قطعا .

وعندما يقال: إن خلق الأرض يدل على قدرة الله تعالى، وخلق العرش مثلا يدل على مزيد قدرة، فالمقصود الظاهر من هذا الكلام، إن خلق العرش يدل على مزيد تعلقات قدرة الله تعالى مما يدل عليه خلق الأرض مثلا، وإنما قلنا ذلك لما يحتوي عليه العرش من الخصائص الزائدة على خصائص وصفات الأرض .

فهذا هو المقصود من الكلام ههنا فخلق آدم يدل على مزيد قدرة ولذلك جاءت التثنية، وليست الزيادة في نفس القدرة بل في التعلقات والمتعلقات .

فلا غموض.

والأمر واضح لا إشكال فيه، ولكن قيل في المثل (مجنون يرمي حجرا في البئر، ومائة عاقل لا يخرجه) .